المؤتمر الدولي الرابع عشر للمجلس العالمي للموهوبين والمبدعين

برشلونة - أسبانيا (٣١ تموز (يوليو) - ٤ آب (أغسطس) ٢٠٠١)

The 14th Biennial Conference of the World Council for Gifted and Talented Children (July31 – August4, 2001) Barcelona - Spain

تيسير صبحي*

انعقد المؤتمر الدولي الرابع عشر للمجلس العالمي للموهوبين والمبدعين في مدينة برشلونة الأسبانية في الحادي والثلاثين من شهر تموز (يوليو) ٢٠٠١ ولمدة خمسة أيـــام، بمشاركة واسعة من العلماء والمهتمين بميدان الموهوبيـــة والإبـــداع Giftedness and Talent. وقد شهد حفل الافتتاح تظاهرة علمية وتربوية لا مثيل لها. وقد جـــرى حفـــل الافتتاح بحضور ممثلي وزارة التربية والتعليم في أسبانيا، وحشد من العلمـــاء، ومنـــهم: جوليان ستانلي، جوزيف رينزولي، سالي ريس، باربرا كلارك، كلوس إيربان، ســـاندرا كابلن، لاني كانفسكي، جون فريمان، جيمس جالاغر، جوانا رافان، تود ســـيلر، كـــارول توملينسون، جويس فانتاسيل باسكا، جانيس ليرو، شيرلي كوكوت، ماريا مـــاكين، ديـــن موتساي؛ جون ميكر؛ دايان مونتيجمري؛ دورثي سيزك، وغيرهم من العلماء المرموقيـــن في هذا الميدان. وكان تمثيل الدول العربية في هذا الملتقى العالمي في المستوى المطلوب؛ حيث شارك متخصصون من: قطر (د. عبد العزيز كمال، د. تيسير صبحي)؛ البحريـــن (دة. جيهان العمران، د. عمر هارون خليفة)؛ الإمارات العربية المتحدة (دة. بسمة خضر، د. محمد البيلي)؛ المملكة العربية السعودية (د. عبدالرحمن كلنتن، أ. علي الوزرة)؛ لبنـان (دة.كيتي ساروفيام)؛ سوريا (أة. رزان الشيخ حسين).

ومن الجدير بالذكر أن المجلس العالمي للموهوبيـــن والمبدعيـــن The World Council for Gifted and Talented Children ينظم مؤتمراته مرة كل عامين.

• مدرس بقسم الصحة النفسية - كلية التربية - جامعة قطر .

وكانت المؤتمرات السابقة قد انعقدت في كل من: لندن، سان فرانسيسكو، القدس، مونتريال، مانيلا، هامبورغ، سولت ليك، سيدني، هيغ، تورينتو، هونغ كونغ، سياتيل (واشنطن)، استنبول، وبرشلونة (٢٠٠١). وفي عام ٢٠٠٣ سينعقد المؤتمر العالمي الخامس عشر في جنوب أستراليا.

وقد دعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الجهات التي ترغب في استضافة المؤتمر العالمي للموهوبين والمبدعين للأعوام المقبلة مراجعة المجلس العالمي للموهوبين والمبدعين للحصول على النماذج المطلوبة، والتعليمات والشروط ومتطلبات التنظيم ومستلزمات الضيافة والمصادر المتاحة. ويتم إقرار جهة الاستضافة في ضوء نتائج دراسة أهلية (أو جاهزية) الجهات المتقدمة، ومن ثم الإعلان عن تلك الجهات، والتعاقد معها للمباشرة في الإعلان واستقطاب المشاركين.

وقد تركزت فعاليات المؤتمر الدولي الرابع عشر للمجلس على المحاور التّالية، وهي:

أوّلاً: التطورات الحديثة التي طرأت على ميدان الموهوبية والإبداع؛
ثانياً: الدراسات والتجارب والبحوث الدولية؛
ثالثاً: القضايا والمشكلات المعاصرة في ميدان الموهوبية والإبداع؛
رابعاً: التوجهات المستقبلية، وتأثيراتها في برامج الموهوبين والمبدعين؛
خامساً: توظيف التقانات الحديثة ومن ضمنها الحاسوب في ميدان الموهوبية والإبداع؛
سادساً: الاجراءات التنظيمية والأعمال الإدارية الخاصة بلجان المجلس العالمي للموهوبين والمبدعين.

وقد أشار الدكتور خوان ألونسو إلى أنّ اللجنة التنظيمية للمؤتمر تعمل حالياً على تقويم فعاليات المؤتمر الرابع عشر للمجلس العالمي للموهوبين والمبدعين. وقد اختتمت أعمال المؤتمر في اليوم الرابع من شهر آب (أغسطس) ٢٠٠١ بكلمة شكر من الدكتورة باربرا كلارك Dr. Barbara Clark رئيسة المجلس حتى ذلك التاريخ، والدكتور خوان ألونسو؛ حيث قال:

"أتوجه بالشكر والتقدير إلى المؤسسات التي ساهمت في دعم المؤتمر، كما أتوجه بالشكر إلى اللجنة الإدارية التنفيذية واللجنة التنظيمية للمؤتمر، الذي اتسم بالتفاعل بين

الجنسيات المختلفة والعلميين والعلماء من مختلف الدول والاتجاهات التربوية. لقد كـــانت فرصة عظيمة لنا أن نتمكن من تنظيم هذا المؤتمر الذي تميز بحضور منقطـــع النظـــير لمشاركين يمثلون (٦٠) دولة تعنى ببرامج الموهوبين والمبدعين، ولديها خبرات وتجارب وإنجازات كانت موضع عرض وبحث ومناقشة في إطار فعاليات المؤتمر. كمـــا تمـــيّز المؤتمر بمستوى المشاركات، وهذه ميزة من الميزات التي ينفرد بها هذا المؤتمر ويمتـــاز بهذه السمة على غيره من المؤتمرات الدولية التي انعقدت تحت مظلة المجلـــس العـــالمي للموهوبين والمبدعين. وأرجو الساعة أن تكون فعاليات المؤتمر وترتيباتـــه قـــد حظيـــت باهتمام ورضى المشاركين كافة، وأتمنى النجاح للمؤتمر الخامس عشر الذي سينعقد فـــي استراليا بعد عامين من الآن،،

ومن الجدير بالذكر أنّه يجري الآن تطوير الموقع الإلكتروني الخاص بـــالمؤتمر الرابع عشر؛ بحيث يضم فعاليـــات المؤتمـــر كافـــة، وتكـــون فـــي متنـــاول المـــهتمين والمتخصصين وأولياء الأمور والطلبة، إلى جانب الكتاب الخاص بوقائع المؤتمر.

وكانت اللجنة الإدارية التنفيذية للمجلس العالمي للموهوبين والمبدعين قد اجتمعت في اليوم الأخير للمؤتمر، وأعلنت أنّ المؤتمر المقبل سينعقد في أستراليا، وناقشت الأمور الإدارية الخاصة بالمجلس وما يتصل منها بأمور العضوية وضرورة التوسع في هذا البعد من أنشطة المجلس، وتكثيف الجهود الخاصة بجذب التمويل، وتنويـــع أنشـــطة المجلـــس وبرامجه المختلفة، وتفعيل ممثلي المجلس في المناطق المختلفة لتوفـــير برامـــج محليـــة وإقليمية ودولية.

وأكدت أعمال المؤتمر على ثوابت محددة كانت موضع بحث ودراسة، وعكســـت خط التطور التاريخي لهذا الميدان.

تطور المفهوم

كانت هناك دراسات حول مفهوم "الموهوبيّة والإبداع"، واتفقت تلـــك الدراســـات على أنّ الموهوبية إنْ هي إلا سمة تتشكل من القدرة العقلية العالية كما تقيســـها مقـــاييس القدرة العقلية (ومنها اختبارات الذكاء)، والتحصيل الأكاديمي رفيع المستوى (كما تقيســـه اختبارات التحصـــيل المقننة في حـــال توافرها، أو كما يتم الاستدلال عليه من خـــلال

اختبارات التحصيل المدرسية)، ودرجة من الإبداع (كما تقيسه مقاييس الإبداع المقننة)، إلى جانب السمات السلوكية. ونلاحظ في هذا المؤتمر أنّ أنموذج رينزولي كان أكثرها ثباتاً. وهناك نماذج أخرى اجتهد في تطويرها كثيرون، إلا أنّ نظرة فاحصة معمقة تشير إلى أنّها في أساسها ومغزاها لا تختلف في شيء عن أنموذج رينزولي. وخلاصة القول في هذا السياق أنّ نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين شهدت ثبات المفهوم الرئيس لهذا الميدان، وكذا الحال بالنسبة لمفهوم الإبداع بوصفه سمة أخرى لها عناصرها وطرائق قياسها وخصائصها، ولا يجوز المزج بينهما. كما ويعتبر هذا المؤتمر نقطة الانطلاق نحو مرحلة جديدة ستشهد ازدهار حركة البحث والدراسة حول مفاهيم هذا الميدان؛ الذي قد يولد مفاهيم جديدة. وعلى الرغم من حداثة هذا الميدان إلا أنّه شهد حالة من الثبات النسبي في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين تدلل على أنّ المفهومات قد تشكلت وعناصرها قد تحددت وماهيتها قد بانت.

طرائق التشخيص وآلياته

من البديهي أنْ تتبنى طرائق التشخيص وآلياته على المفاهيم المحددة والتعريفات المعتمدة. وإنْ كانت فعاليات المؤتمر قد أشارت إلى النماذج المختلفة ومن ضمنها أنموذج رينزولي، فهي قد أشارت، أيضاً، إلى الطرائق والآليات المختلفة التي يجري توظيفها للكشف عن الطلبة الموهوبين والمبدعين. وتتلخص تلك الطرائق والآليات التي تمت مناقشتها في هذا المؤتمر الدولي في البدائل التالية:

(١) طرائق التشخيص متعددة المعايير التي تنسجم مع التعريف المعتمد، شائع الاستخدام في دول كثيرة، والمذكور أعلاه. وتقوم هذه الطرائق على توظيف مقاييس القدرة العقلية واختبارات التحصيل ومقاييس الإبداع، وقوائم السمات؛

(٢) طرائق التشخيص أحادية المعيار، ومنها ما يعتمد على أحد المعايير المعتمدة في طرائق التشخيص متعددة المعايير. فقد تعتمد الذكاء، أو التحصيل أو الإبداع، أو السمات السلوكية؛

(٣) طرائق التشخيص ثنائية المعايير، والتي من أبرزها تلك الطريقة التي تضم معيار الذكاء إلى جانب السمات السلوكية أو معيار الذكاء إلى جانب التحصيل الأكاديمي.

وبرزت في المؤتمر اتجاهات عديدة تتبنى على نتائج البحوث والدراسات التي أجريت في هذا الصدد، والتي خرجت بنتائج مثل: أنّ استخدام قوائم السمات السلوكية

التي تتمتع بعلاقات ترابطية كبيرة مع اختبارات الذكاء يقلل الحاجة إلى اختبارات الذكـاء، وفي مقدورنا تفعيل دور المعلم/ المعلمة وكذا الأهل في عملية تشخيص الطلبة الموهوبيـن والمبدعين. وبرز اتجاه يدعو إلى الاعتماد على قوائم السمات في الكشف عـــن الطلبـة الموهوبين والمبدعين بشرط التدريب المسبق للأشخاص المعنيين.

وبنتيجة الدراسات التي أجريت على العلاقة بين نتائج الطلبة على مقاييس الذكاء وبين نتائج الطلبة على اختبارات التحصيل برز اتجاه في التشخيص يطـــالب باسـتخدام اختبارات التحصيل المقننة للكشف عن الطلبة الموهوبين والمبدعين من دون الالتفات إلـى مقاييس الذكاء ولا مقاييس الإبداع.

ومن اللافت للانتباه ندرة دراسات "عبر الثقافات"؛ حيث كانت غالبية الدراســات التي عرضت في المؤتمر تجسد التجارب المحلية للدول التي يتبعها الباحثون. وقد جـري لفت نظر المشاركين في المؤتمر إلى ضرورة التركيز على بحـــوث ودراســات "عـبر الثقافات" cross-cultural studies. هذا إلى جانب التأكيد على أهميـة التشـخيص المبكر بغرض توفير البرامج المناسبة للطلبة الموهوبين والمبدعين.

برامج رعاية الطلبة الموهوبين والمبدعين

حظيت برامج رعاية الطلبة الموهوبين والمبدعين بنصيب كبـير مـن بحـوث ودراسات المؤتمر، وتناولت نماذج عديد جرى تطبيقها في عدد مـــن الـدول المتقدمـة والنامية. فكانت هناك برامج تقدم في إطار المدرسة العادية، وهناك برامج يجري توفيرها في إطار مراكز خاصة بالطلبة الموهوبين والمبدعين، وتعنى بهم فـي مراحـل عمريـة مبكرة، وتكون مخرجات تلك المراكز وإنجازاتها في متناول منظومة التربيـــة والتعليـم ككل. كما شهدت أروقة المؤتمر مناقشات حول أنماط أخرى من البرامج التي توفر أنشطة ومهمات الاثراء والتسريع وبرامج التلمذة وغيرها من البرامج المطورة لتلبية الاحتياجـات الخاصة بالطلبة الموهوبين والمبدعين. واللافت للانتباه التوجه أكثر نحو التقانات الحديثـة ومنها الحاسوب وما يوفره من خدمات رفيعة المستوى تساعد في تنمية التفكير المبـــدع. فقد تميز هذا المحور على غيره من محاور المؤتمر بسبب مواكبته للتطورات الحديثة التي طرأت على هذا الميدان، وكانت هناك أوراق عمل حول توظيف الحاســـوب والـبرامج المحوسبة وشبكات الحاسوب ومنها (إنترنيت) في تعليم الموهوبين والمبدعين، ودخل إلى

هذا الميدان مفهوم "الفضاء التخيلي" الذي يجسد أحدث ما توصلت إليه تقانات الحاسوب والبرمجة. حيث تخرج "الفضاءات التخيلية" عن المألوف، وتوفر إمكانات لا حدود لها، وتنطلق بالمتعلم إلى فضاءات المستقبل التي لا تعترف بحدود ولا محددات.

وكشفت الدراسات والبحوث التي عرضت في المؤتمر عن عوامل مشتركة في ما بينها، وهي أنّها انبنت على تصورات مسبّقة عن أبعاد شخصية المتعلم التي تتصل بالقدرات العقلية، والاهتمامات وأنماط التعلم. ومن دون معرفة عميقة بهذه الأبعاد لا نستطيع توفير البرامج والخدمات والتسهيلات التي تساعد في تلبية الاحتياجات الخاصة بهذه الفئة من الطلبة.

وعالجت أوراق المؤتمر بيئة التعلم والعوامل المؤثرة فيها، وجرى التركيز على العوامل البيئية التي هي من صنع المجتمع أو المدرسة، ولم تقلل من دور الإدارة المدرسية والمتخصص في برامج الطلبة الموهوبين والمبدعين. وأكدت خلاصات تلك الدراسات على فلسفة المجتمع وسياساته نحو برامج الموهوبين والمبدعين من ناحية، وأهمية وضرورة توفير برامج خاصة لتلبية احتياجات الموهوبين والمبدعين بوصفهم ثروة من أهم ثروات المجتمع من ناحية ثانيّة.

وأتاح المؤتمر الفرص العديدة للمشاركين في المؤتمر للاطلاع على المعالم التربوية والسياحية لمدينة برشلونة التاريخية. كما شهدت أروقة المؤتمر اجتماعات وندوات نظمتها منظمات وجمعيات تربوية دولية مماثلة للمجلس العالمي للموهوبين والمبدعين، ومنها: اجتماعات المجلس الأوروبي للموهوبين الذي يعرف اختصاراً (ECHA) والتي هدفت إلى مناقشة أوضاع المجلس والعضوية والمؤتمر المقبل للمجلس، وكذلك اجتماعات الفيدرالية الآسيوية للموهوبين والمبدعين؛ حيث جرت مناقشة الترتيبات الجارية لانعقاد المؤتمر الخاص بالفيدرالية في شهر آب المقبل في تايلند.